

التوبة !! مفهومها وكيفيةها

دكتور / حيدر محمد سليمان

معصيته ، فإذا تخلفت التوبة عن المعصية فهذا بلاء عظيم وخطر داهم لأن المعصية ومقارفة الشهوات تكون مقصورة علي مقارفها وفاعلها ، وإذا استمرأ صاحب الشهوات مقارفة شهواته وسدر في غيه ، أصاب المجتمع منه شر كبير ولا تكون معصيته في حيزه ولكن تكون معصية مجتمع بكامله إذا أطلت برأسها ولم تنكر ولم تغير .

وأصحاب الشهوات من العصاة هم المفرطون وأهل الذنوب و الفساق الذين خلطوا عملا صالحا وعملا سيئا ومن أصول العقيدة عند أهل السنة أن المسلم لا يكفر بارتكاب الكبائر ما لم يستحلها ، وهذا اعتقاد السلف المتواتر علمه بين علماء الأمة ، قال الإمام مسلم في كتاب الإيمان: باب الدليل علي أن من رضي بالله ربا وبالإسلام ديناً وبمحمد صلي الله عليه وسلم رسولا ، فهو مؤمن ، ثم أورد جملة من الأحاديث النبوية منها حديث العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه : انه سمع رسول الله (ص) يقول (ذاق طعم الإيمان من رضي بالله ربا وبالإسلام ديناً وبمحمد رسولا) (٢)

وأصحاب الشهوات مهما فرطوا في جنب الله فهم مسلمون لم تبلغ معاصيهم درجه الشرك بالله ولم يرتكبوا كفرا صراحا ، وهم بالطبع لا يتساوون بالأتقياء قال تعالى : (وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ وَالَّذِينَ آمَنُوا

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد الأنبياء والمرسلين وعلى آله وصحابه الطيبين الطاهرين والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

وبعد :

فأن الخطأ والمعصية والسقوط في الشهوات و مقارفة الذنوب طبيعة بشرية وجبلة إنسانية قررها الله تعالى في قوله : فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتَ لَهُمَا شَوَاتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى ○ ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى طه: ١٢١-١٢٢ .

فالإنسان بين نفسه وشهواته وإيعاز الشيطان له بارتكاب المعاصي في بلاء عظيم يقول تعالى : يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُواتِ الشَّيْطَانِ وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُواتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ النور: ٢١ .

وجاء في الحديث أن النبي ﷺ قال : (كل ابن آدم خطاء وخير الخطائين التوابون) (١) .

ومنازعة المسلم نفسه عن الشهوات والمعاصي أمر معلوم ومصارعة الشيطان أمر وارد بل سقوطه في المعصية من فطرة بشرية الإنسان ، ولكن علي المسلم أن يحدث التوبة ويتعهد نفسه ، بملازمة الرجوع إلى الله تعالى بعد

وَعَمَلُوا الصَّالِحَاتِ وَلَا الْمَسِيءَ قَلِيلًا مَا تَتَذَكَّرُونَ) غافر: ٥٨ .

وكل المسلمين وعد الله بالجنة والمغفرة ، إذا برئوا من الشرك كما قال تعالى : (ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بإذن الله ذلك هو الفضل الكبير) جَنَاتٍ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ) فاطر: ٣٢ - ٣٣ .

قال الإمام الطبري قوله تعالى : (فمنهم ظالم لنفسه) لأن يكون من أهل الذنوب والمعاصي التي هي دون النفاق والشرك ، عندي أشبه بمعنى الآية ، من أن يكون المعني بها المنافق أو الكافر ، ذلك أن الله تعالى ذكر في الآية : (ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بإذن الله ذلك هو الفضل الكبير) جَنَاتٍ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ) فاطر: ٣٢ - ٣٣ .

فهم يدخلون الجنة الأصناف الثلاثة (٣) . كما ذكرهم المولى عز وجل في محكم تنزيله في الآية السابقة وهم كالآتي :

(١) السابقون للخيرات : هم العاملون بالخيرات مجتنبون النواهي .

(٢) المقتصدون : فهم الذين أعمالهم قصدا ، وعبادتهم وسطا .

(٣) الظالمون لأنفسهم : هم المسرفون علي أنفسهم بما اقترفوا من الذنوب والآثام .

المبحث الأول :

مميزات أصحاب الشهوات والذنوب

لأصحاب الشهوات ومرتكبي المعاصي والذنوب مميزات وسمات يعرفون بها ،

وهي تغيب وتظهر بحسب حال المسلم بعدا وقربا من الله تعالى ومن ومقام الإيمان والتقوى . نذكرها كالآتي :

(١) عمى القلب والغفلة :

يعمى القلب وتختفي بصيرته بكثرة الذنوب ، وتضع قدرته على الحسبة والمراقبة الذاتية ، فينساق خلف الشهوات وسفاسف الأمور وتجري النفس خلف أمانيتها ، ورغبتها ، ناسية الأجل ويوم الحساب ، والغافل هو السار في غيه غافلا عن الموت ، ولا يقف عند حرمة ، وليس لديه وازع ؛ وهو من ضعف الإيمان وغلبة الذنوب في تيه وسكر .

قال ابن تيمية: الغفلة والشهوة أصل الشر . قال تعالى : (وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدَ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرْطًا) الكهف: ٢٨ . وقال تعالى: (فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوْآتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَينِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ) الأعراف: ٢٠ .

والهوى إذا اجتمع مع الجهل أصاب المسلم في مقاتله لأن صاحب الهوى إذا علم أن فيما يسعى إليه ضررا به انصرف عنه ؛ لأن النفس لا تقدم على ما فيه هلاكها ، أما إذا أضيف الجهل إلى الهوى فإنه ؛ تموت عقالات العقل ويسدر الإنسان في غيه دون نهى من نهى ولا عقل من عقل ، ولهذا فإن البلاء العظيم من تزوين الشيطان للنفس في فعل السيئات والمعاصي التي يحسنها لها كما فعل إبليس مع ادم عليه السلام فقال جل من قائل : (فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا

...إلى غيرها . وقد أودع الله الشهوات في النفس للابتلاء والمجادة .

فمن سيطر على شهواته وضبطها نجح وسعد، ومن غلبته شهواته ووقع في أسرها أضرت به وكانت نهايته عليها ، والشهوات المذكورة تتولد عنها شهوات كثيرة وهي من أمراض القلب ومما يوصف به المنافقون قال تعالى : (إِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ غَرَّ هَؤُلَاءِ دِينُهُمْ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ) الأنفال : ٤٩ .

و مرض القلب كمرض الجسد فهو يضعف القلب وينهكه فنقل عنده درجة الرقابة على الشهوات ، ألا أنه لا يموت ولكن يفسد لديه الإبراك والإحساس وعن النعمان بن بشير يقول سمعت رسول الله (ص) يقول : (الحلال بين و الحرام بين وبينهما مشبهات لا يعلمها كثير من الناس ، فمن اتقى الشبهات استبرأ لدينه وعرضه ومن وقع في الشبهات ، كراع يرعى حول الحمى ، أوشك أن يقع فيه ، ألا وإن لكل ملك حمى ألا وإن حمى الله في أرضه محارمه ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله وهي القلب .) (٧)

ومن أمراض القلب الشهوة المحرمة والحسد والجبن والبخل والجهل والشكوك والشبهات التي فيه (٨) .

(٤) الجهل :

المقصود بالجهل هنا اقتراف الذنوب لعدم المعرفة ، وقيل بجهالة أي لا يعلمون كنه العقوبة ذكره ابن فورك . وقال تعالى : (إِنَّمَا النَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا) النساء : ١٧ . قال القرطبي : (في هذه الآية والأنعام أنه من

أَدُمُ هَلْ أُنْتُكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمَلِكٍ لَا يَبْلَى) : سورة طه (١٢٠)

(٢) ضعف الإيمان :

إذا أسرف الإنسان في المعاصي ران على قلبه حجاب كثيف ، حيث أن الإيمان يقوى بالعمل الصالح وتزكية النفس ، ومجاهدتها على اجتناب المنهيات ، فكنك يضعف الإيمان ؛ بمقارفة الذنوب ، و بيان ذلك يوضحه حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعا إلى النبي (ص) : (لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن ، ولا يسرق حين يسرق وهو مؤمن ، ولا ينتهب نهبة يرفع الناس فيها أبصارهم ينتهبها وهو مؤمن) (٥) .

وليس معنى هذا أن مرتكب المعاصي يصير عديم الإيمان بالكلية ، ولكن قد يضعف إيمانه إلى درجات بعيدة ، ولا يعني أن أصل الإيمان لديه قد انبت وانتهى ولكن يصغر ويتضاءل عنده ولا ينعدم البتة ، وهذا هو المذهب الصحيح عند أهل السلف (٦) .

(٤) متابعة الشهوات :

حصر القرآن الكريم أصول الشهوات في أصول تتفرع عنها شهوات متعددة حيث يقول تعالى : (زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفُضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَتَابِ) آل عمران : ١٤

وهذه الشهوات هي أصل البلاء .

والله تعالى ركب الشهوات في الإنسان ، لأنغراض سامية ، وغايات عظيمة مثل شهوة الزواج لحفظ النوع وعمارة الكون وشهوة حب المال والتملك لكفاية النفس ونفع البشرية ، وشهوة التسلط للحكم الصالح والإصلاح

إلى الطاعة . و رجل تواب : تائب إلى الله ، والله تواب يتوب على عبده . وتاب الله على عبده أي عاد عليه بمغفرة ، واستتبت فلانا : عرضت عليه التوبة مما اقترف (١١) .

التوبة :

الرجوع إلى الله بحل عقدة الإصرار عن القلب ، ثم القيام بكل حقوق الرب ، والتوبة النصوح : هي توثيق بالعزم على ألا يعود لمثله قال ابن عباس : رضي الله عنهما : التوب النصوح الندم بالقلب ، والاستغفار باللسان ، والإقلاع بالبدن الإضمار على ألا يعود (١٢) .

و التوبة أيضا : الرجوع عن الذنب وكذلك التوب ، قال تعالى : (غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِلَيْهِ الْمَصِيرُ) غافر: ٣ . وقيل : التوب جمع توبة (١٣) .

التوبة في الشرع :

الرجوع عن الأفعال المذمومة إلى الأفعال المدحوة وهي واجبة على الفور عند عامة العلماء . أما الوجوب فلقوله تعالى : (وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوْ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ وَتَوْبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ) النور: ٣١ .

وأما الفورية : فلما في تأخيرها من الإصرار

عمل منكم سواء بجهالة، ... الكفر والمعاصي ، فكل من عصى ربه فهو جاهل حتى ينزع عن معصيته قال قتادة : اجمع أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ، على أن كل معصية بجهالة عمدا كانت أو جهلا . وقاله ابن عباس وقتادة والضحاك ومجاهد والسدي ، وروي عن مجاهد والضحاك أنهما قالا : الجهالة هنا العمد ، وقال عكرمة : أمور الدنيا كلها جهالة . يريد الأمور الخاصة بالدنيا الخارجة عن طاعة الله تعالى .

وهذا المفهوم يتفق مع قوله تعالى : (إِنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُوَ وَإِنْ تَوَّابٌ) وَتَتَّقُوا يَوْمَ تُؤْتِكُمْ أَجُورَكُمْ وَلَا يَسْأَلُكُمْ أَمْوَالُكُمْ) محمد: ٣٦

قال الزجاج : بجهالة ، يعني اختيارهم اللذة الفانية على اللذة الباقية (٩) .

وقال تعالى : (وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ) الأنعام: ٥٤ ، وقوله تعالى : (ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمَلُوا السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ) النحل: ١١٩ . فالذي يتضح من الآيات السابقة أن الله سبحانه وتعالى يتجاوز عن العبد المذنب عندما يتبع جهالته بتوبة ، ويصلح في عمله وكسبه ، فالله غفور رحيم .

المبحث الثاني :

التوبة مفهومها وحقيقتها

التوبة في اللغة :

الرجوع من الذنب وفي الحديث : (الندم توبة) (١٠) ، و التوب مثله قال : الأخفش : التوب جمع توبة ، وتاب إلى الله يتوب توبا وتوبة و متابا ، أناب ورجع عن المعصية

كما أكد الحبيب المصطفى على أن التوبة هي نافية للذنوب الذي أحدثت له وإن محدثها يصبح كمن لا ذنب له ؛ كما قال صلى الله عليه وسلم : (التائب من الذنب كمن لا ذنب له) (١٨)

حقائق التوبة :

وللتوبة ثلاث حقائق لا تتم إلا بها :

أولها . تعظيم الجناية .

ثانيها . اتهام التوبة .

ثالثها . طلب أعمار الخليفة .

فأما تعظيم الجناية :

بعدم الاستهانة بها، والندم عليها .

وأما اتهام التوبة :

بعدم ضعف العزيمة ، وعدم التفات القلب إلى الذنب الفينة بعد الفينة ، وتذكر حلاوة مواقفته .

وأما أعمار الخليفة :

فمقصوده : انه لا عذر لأحد البتة في معصية الله ومخالفة أمره ، مع علمه بذلك وتمكنه من الفعل والترك ، ولو كان له عذر لما استحق العقوبة واللوم لا في الدنيا ولا في العقبى (١٩) .

حقيقة التوبة :

حكمة الله في تقدير الذنوب على عباده :

قد يسأل السائل عن الحكمة من تقدير الذنوب من الله سبحانه وتعالى على عباده ، والإجابة على ذلك ؛ إن مبنى العبودية ، والأيمان بالله ورسله ، يقوم على التسليم وعدم الأسئلة عن تفاصيل الحكمة في الأوامر والنواهي والشرائع . فله فيما تعبدنا به حكمة قد لا تكون ظاهرة ولا ندركها ، ولسنا مكلفين بإدراك حكمة الله تعالى في ما أجراه علينا من سنن وأقدار ، أو ما تعبدنا به من فروض وواجبات .

المحرم . والإنابة قريبة من التوبة لغة وشرعا

التوبة النصوح :

هي ألا يبقى المسلم علي عمله أثرا من المعصية سرا أو جهرا . وقيل : هي التي تورث صاحبها الفلاح عاجلا وأجلا .

وقيل التوبة : هي الإعراض والندم والإقلاع ، وهي علي ثلاثة معاني :

أولها : الندم .

الثاني : العزم علي ترك العود إلي ما نهى الله تعالى عنه .

الثالث : السعي في أداء المظالم (١٤) .

وتعني أيضا : (رجوع العبد إلى الله تعالى ومفارقة لصراط المغضوب عليهم والضالين) (١٥) . لقوله تبارك وتعالى : (إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا) النساء : ١٧ .

والتوبة التي أوجب الله على نفسه قبولها بوعده الذي هو أثر كرمه وفضله ، ليست إلا لمن يجترح السيئة بجهالة تلبس نفسه ؛ من ثورة غضب ، أو تغلب شهوة ، ثم لا يلبث إن يندم على ما فرط منه ، وينيب إلى ربه ، ويتوب ويقطع عن نذبه (١٦) .

والله سبحانه وتعالى يفرح بتوبة التائب من الذنب كما جاء في الحديث ؛ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (الله أفرح بتوبة أحدكم من رجل بأرض فلاة دوية مهلكة ، معه راحلته عليها زاده وطعامه وشرابه وما صلحه فأضلها ، فخرج في طلبها حتى إذا أبركه الموت قال : ارجع إلى مكاني الذي أضللتها فيه فأموت فيه ، فرجع إلى مكانه ، فغلبته عينه فاستيقظ ، فإذا راحلته عند رأسه عليها طعامه وشرابه وما يصلحه) (١٧) .

وربما اختلج في النفس إمكان الجمع بين كيفية إرادة الله ومشيئته وتكوينه لأمر لا يحبه ولا يرضاه بل كيف يجمع بين إرادته له ، وبغضه وكراهته ؟

وعندئذ لابد من التفريق بين ما هو مراد لنفسه ، وما هو مراد لغيره فهو مكروه له من حيث قضاؤه وإيصاله إلى مراده ، فحينئذ يجتمع فيه الأمران : بغضه وإرادته ، ولا ينتفيان ، كالدواء الكريه إذا علم المتناول له إن فيه شفاءه ، وكقطع العضو المتاكل الفاسد إذا علم إن في قطعه بقاء جسده ، فهو سبحانه يكره الشيء ولا ينافي ذلك إرادته لأجل غيره ، وكونه سببا إلى أمر هو أحب إليه من فوقه . ومن ذلك : خلق إبليس الذي هو مادة لفساد الأديان والأعمال والإرادات ، مع ذلك فهو وسيلة إلى إظهار أفضال كثيرة للرب تعود بالخير على خلقه ، منها ظهور أسمائه . سبحانه وتعالى . المتضمنة لحلمه ، وعفوه ، ومغفرته ، وستره ، وتجاوزه عن حقه لمن شاء من عباده (٢٠) .

ولهذا المعنى أشار الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم بقوله : (الذي نفسي بيده ، لو لم تذنّبوا لذهب الله بكم ، ولجاء بقوم يذنبون فيستغفرون الله فيغفر لهم) (٢١) .

وبهذا يتبين لنا بجلاء إن حكمته تبارك وتعالى في تقدير الذنوب على العباد هي مما يصعب استقصاؤه ، وإن ظهرت لنا بعض الحكم التي كشف الله عنها برحمته وحلمه في ثنايا النصوص الشرعية ومن ذلك :

١. ظهور عبودية العبد ونله وانكساره لله تعالى .

٢. ابتلاء المؤمن بتسلط الظالم عليه كما في قوله تعالى : (وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَنْذَرُ مُوسَى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَيَذَرَكَ

وَالْهَتَكَ قَالَ سَنْقَتُلْ أَبْنَاءَهُمْ وَنَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ) الأعراف : ١٢٧

٣. إذهاب غيظ قلوب المؤمنين بهلاك الظالمين كما في قوله تعالى : (قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنْصَرِّكُمُ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ) التوبة : ١٤ .

٤. امتحان المؤمنين بالخلافة بعد هلاك الظالمين ، كما في قوله تعالى : (قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ) قَالَوا أَوْذَيْنَا مِنْ قَبْلُ أَنْ تَأْتِنَا وَمَنْ بَعْدَ مَا جِئْتَنَا قَالَ عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلَفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ) الأعراف : ١٢٨ - ١٢٩ .

٥. تجرؤ العصاة باستعجال العذاب كما في قوله تعالى : (وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حَجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ أَوْ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ) الأنفال : ٣٢ .

٦. الأمن من العذاب بالاستغفار عقب الذنب كما في قوله تعالى : (وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ) الأنفال : ٣٣ .

٧. استجلاب الرزق وأسباب التمكين كما في قوله تعالى : (فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّاراً يُرْسِلَ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَاراً وَيَمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ يَبْنِي وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَاراً) نوح : ١٠ - ١٢ .

٨. دفع فساد الأشرار بجهاد الأخيار كما في قوله تعالى : (فَهَرَمُومِهِمْ يَأْذِنُ اللَّهُ وَقَتْلُ دَاوُدَ جَالُوتَ وَأَتَاهُ اللَّهُ الْمَلِكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى

الْعَالَمِينَ) البقرة: ٢٥١ .

تصحيح النية :

بالنية كمن بنى مسجداً من مال حرام ، أو أطعم فقيراً من مال غيره ، فهذا كله جهل ، والنية لا تؤثر في إخراجها عن كونه معصية وإن كان قصد الخير ، فإن ذلك خلاف مقتضى الشرع (٢٧) .

أما مقتضى الشرع في ذلك ما جاء في قوله تعالى : (قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدٌ) الكهف: ١١٠ .

والعمل الصالح : ما كان موافقاً لشرع الله ، وهو الذي يراد به وجه الله وحده لا شريك له ، وهذان ركنا العمل المتقبل : إذ لا بد أن يكون العمل خالصاً لله صواباً على شريعة رسول الله ﷺ (٢٨) .

حكم الشروع في التوبة :

حكم التوبة من جميع المعاصي الوجوب ؛ (على الفور) (٢٩) ، ومنه قال ابن القيم :

(التوبة واجبة وجوباً مضيئاً مدى العمر ، فوقتها مدة العمر إذ يجب عليه استصحاب حكمها في مدة عمره ، فهي بالنسبة إلى العمر كالإمسك عن المفطرات في صوم اليوم ، فإذا أمسك معظم النهار ثم نقض إمساكه بالمفطرات بطل ما تقدم من صيامه ، ولم يعقد به وكان بمنزلة من لم يمسك شيئاً من يومه) (٣٠) .

وإذا ما كانت التوبة واجباً على الفور طيلة العمر ، فالشروع بها عقب الذنب كذلك لأن ما أدى إلى الواجب فهو واجباً ، ولهذا الوجوب يشهد صريح القرآن والسنة المطهرة فمن القرآن ما جاء في قوله تعالى : (إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا) النساء: ١٧ .

يحصل عون الله تعالى للعبد على قدر صحة نيته ، وتمامها وإخلاصها فمن تمت وخلصت نيته ، ثم عون الله تعالى له ، وإن نقصت نقص بقدره ، فرب عمل صغير تعظمه النية ، ورب عمل كبير تصغره النية (٢٢) .

وقد حذر المولى عز وجل من خفايا النيات ومكنونات النفوس وبواطنها بقوله : (رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ إِن تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلأَوَّابِينَ غَفُورٌ) الإسراء: ٢٥ .

فالله سبحانه وتعالى أعلم بخفايا النفوس ، ومكنونات الضمائر ، لا يخفى عليه شيء من ذلك ، وهو يجازي على حسن ذلك و سيئة (٢٣) ، حيث يقول جل من قائل : (إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ هُوَ الَّذِي يَصُورُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) آل عمران: ٥ - ٦ .

فمن ساءت نيته وفسد عمله فعلى نفسه ، ومن صحت نيته وحسن عمله وأتاب بعد الذنب إليه تعالى : (فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى كَانَ لِلأَوَّابِينَ بَعْدَ الزَّلَّةِ غَفُورًا لَّهُمْ) (٢٤) ، وهذا تكرم منه سبحانه على العباد ؛ ووعد بالغفران مع شرط الصلاح والأوبة بعد الأوبة إلى طاعته سبحانه وتعالى (٢٥) .

وتصحيح النية بإخلاصها واتباع العمل فيها وفق ما جاء في كتاب الله وهدى رسوله عليه الصلاة والسلام . فالعمل وإن كان ينقسم إلى معاصي وطاعات ومباحات ، إلا إن أعمال المعاصي لا تتغير عن موضعها بالنية ، فلا ينبغي إن يفهم الجاهل من عموم قوله عليه الصلاة والسلام : (إنما الأعمال بالنيات) (٢٦) ما يظن به إن المعصية تنقلب طاعة

ثم يتوبون من قريب ؛ أي من زمان قريب ، وظاهر الآية : اشتراط وقوع التوبة عقب المعصية بلا تراخ ، وأنها بذلك تنال درجة قبولها المحتم تفضلا ، إذ بتأخيرها وتسويقها يدخل في زمرة المصرين ، فيكون في الآية إرشاد إلى المبادرة بالتوبة عقب الذنب والإنابة إلى المولى بعده فوراً (٣١) .

قال الإمام أبو حامد محمد بن محمد الغزالي في الإحياء :

قوله : (ثم يتوبون من قريب) معناه : (عن قرب عهد بالخطيئة بان يندم عليها ويمحو أثرها بحسنة يردفها بها قبل أن يتراكم الرين على القلب فلا يقبل المحو) (٣٢) . ومن أجل ذلك فإن (الإجماع منعقد من الأمة على وجوبها ، ولكن الغفلة قد تدهش عنه) (٣٣) .

وقد جاءت السنة المطهرة لتؤكد على صريح القرآن ضمن قوله عليه الصلاة والسلام لمعاذ بن جبل : (اتق الله حيثما كنت ، واتبع السيئة الحسنة تمحها وخالق الناس بخلق حسن) (٣٤) .

ومن إتباع السيئة الحسنة ما جاء الترغيب على الحض بالقيام فيه عقب الذنب كقول النبي (ص) : (إذا توضأ العبد المسلم أو المؤمن فقد خرج من وجهه كل خطيئة نظر إليها بعينه مع الماء أو مع آخر قطر الماء ، فإذا غسل يديه خرج الماء من يديه كل خطيئة كان بطشتها يده مع الماء أو مع آخر قطر الماء ، فإذا غسل رجليه خرجت كل خطيئة مشتها رجلاه مع الماء أو مع آخر قطر الماء ، حتى يخرج نقياً من الذنوب) (٣٥) .

التسويق في التوبة :

إن المبادرة إلى التوبة من الذنب فرض على الفور ولا يجوز تأخيرها فمتى أخرها عصي

بالتأخير ، فإذا تاب من الذنب بقى عليه توبة أخرى ، وهي توبته من تأخير التوبة ، وقل أن تخطر هذه ببال التائب (٣٦) .

بل إن التسويق بها يجعل العبد بين خطرين عظيمين :

الأول :

أن تتراكم الظلمة على قلبه من المعاصي حتى يصير رينا وطبعاً فلا يقبل المحو .

والثاني :

أن يعاجله المرض أو الموت فلا يجد مهلة للاشتغال بالمحو (٣٧) .

وعندئذ تقع توبته توبة مضطر .

وقد تضافت النصوص وتظاهرت على أنها توبة لا تنفع صاحبها لأنها توبة ضرورة لا توبة اختيار (٣٨) .

يشهد لذلك قوله تعالى : (وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كَفَارٌ أُولَئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَاباً أليماً النساء : ١٨ .

قال البيضاوي :

(سوى . [الله في الحكم] . بين من سوف التوبة إلى حضور الموت من الفسقة والكفار وبين من مات على الكفر ، في نفي التوبة للمبالغة في عدم الاعتداد بها في تلك الحالة ، وكأنه قال : وتوبة هؤلاء وعدم توبة هؤلاء سواء) (٣٩) .

وعلى ذلك : فليبادر كل بنفسه وليدرك ما فرط منه فلعن الله أن يجعله في المقبولين .

الإصرار على المعصية :

كف النفس عن الفعل الذي هو متعلق بالنهي إنما يتصور بالإقلاع عن الذنب وعدم الإصرار عليه ، فالتوبة الصادقة عزم جازم على ترك العصيان ومعاودته والبقاء فيه والاستمرار

مشته للتوبة ، ممتنع عنها ... بسبب القنوط والياس استعظاما للذنوب التي سبقت .
ب/ ونوع مغرور :

مسترسل في المعاصي لا يذكر أسباب الرجاء (٤١) . سائر في غيه لا تحضره توبة ولا يستحضرها .

وقد عالج القرآن الكريم كلتا الحالتين حالة القانط ، وحالة المسترسل فأما علاج القانط فكما جاء في قوله تعالى : (قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ) الزمر: ٥٣ .

فهذه الآية الكريمة دعوة لجميع العصاة من الكفرة وأهل الفسق ، ممن ارتكبوا الفواحش والمخدرات وربما الكبائر ، وغيرهم إلى التوبة والإنابة وإخبار : بأن الله تبارك وتعالى يغفر الذنوب جميعا لمن تاب منها ورجع عنها وان كثرت وكانت مثل زبد البحر (٤٢) .

والنهي في الآية : يشمل (جميع من أسرف على نفسه من أهل الإيمان والشرك لأن الله عم بقوله : (قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ) الزمر: ٥٣ .

جميع المسرفين فلم يخصص به مسرفا دون مسرف (٤٣) .

وبعد أن نهى الله المسرفين عن القنوط أخبرهم بما يدفع ذلك ويرفعه ، فيحل الرجاء مكانه حيث جاء بما لا يبقى بعده شك ولا يخالغ القلب عند سماعه ظن فقال : أن الله يغفر الذنوب جميعا أي أن الله يغفر كل ذنب كائنا ما كان إلا ما أخرجه النص القرآني ، وهو الشرك بقوله : إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء (٤٤) .

عليه . إذ الإصرار هو الاستقرار على المخالفة والعزم على المعاودة . وذلك ذنب آخر لعله أعظم من الذنب الأول بكثير .

هذا ومن عقوبة الذنب : انه يوجب نوبا أكبر منه ثم الثاني : كذلك ، ثم الثالث : كذلك حتى يستحكم الهلاك ، فالإصرار على المعصية معصية أخرى ، والقعود عن تدارك ما فرض وسبق من المعصية إصرار ورضا بها وطمأنينة إليها ، وذلك علامة الهلاك (٤٥) .
وتتمثل عقدة الإصرار إلى الشفاء بالوقوف على الأسباب المؤدية إلى الهلاك ونقضها والتخلص منها . نلکم إن شفاء التوبة لا يحصل إلا بالدواء ، ولا يقف على الدواء من لا يقف على الداء ، إذ لا معنى للدواء إلا مناقضة أسباب الداء ، فكل داء حصل من سبب فدواؤه حل ذلك السبب ورفع وإبطاله ، ولا يبطل الشيء إلا بضده ، ولا سبب للإصرار إلا الغفلة والشهوة ولا يضاد الغفلة ويقف في وجهها : إلا العلم ، ولا يضاد الشهوة : إلا الصبر على قطع الأسباب المحركة للشهوة .

والغفلة رأس الخطايا ، فلا دواء إذن للتوبة ؛ إلا إذا جمعت بين حلاوة العلم ومرارة الصبر ، فمثلا يوجد لكل فرض علم يعلم به ويخصه فكذا دواء الإصرار هو معالجته بالعلم والصبر على ترويض النفس حتى تفارقه . والعاصي إن علم عصيانه فعليه المسارعة لطلب العلاج ممن لديه دواءه ، فإن كان طلب المعالج أو العلاج للمرضى واجب على من يقوم عليهم ، فكذا طلب الدواء والمعالج أولى في حق العصاة وهم العلماء فينبغي قصدهم ومباشرتهم .

المبحث الثالث :

أنواع العصاة :

أ/ نوع مصر على الذنوب :

و أما علاج القرآن للمسترسلم طمعا في رجاء الله بجهله فكما جاء في قوله تعالى : (اَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ وَأَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ) المائدة : ٩٨ - ٩٩ .

فقد نكر سبحانه بالجزاء المترتب إزاء القيام بما تعبدنا به من الأحكام الشرعية : انه بالمرصاد يجازي كل صانع بما صنع من خير أو شر غير متعمد على ما سواه من مجرد في تعليق الجزاء وإناطته به . وكأنه قال : (اعلموا أيها الناس أن ربكم الذي يعلم ما في السموات وما في الأرض ولا يخفى عليه شيء من سرائر أعمالكم وعلاقيتها ، وهو يحصيها عليكم ليجازيكم بها) (٤٥) .

فهو (شديد العقاب لمن انتهك محارمه ، غفور رحيم لمن حافظ عليها) (٤٦) واعتبار كون هذان العلمان موجودين في القلوب على وجه الجزم واليقين .. ليثمر بذلك : الخوف من عقابه والرجاء بمغفرته ، وترجمة ذلك و ظهوره في العمل بما يقتضيه الخوف والرجاء دون احدهما (٤٧) ، سيما وقد اعذر الناس ببلاغ الأنبياء والرسول ، فلا مندوحة لهم في التقصير أو طلب الرجاء والتمني دون القيام بمقتضى ذلك من الأعمال فليس ذلك إلا ضربا من الجهالة والأمن من مكر الله وعقابه . الذي لا يأمنه إلا جهول فاسق

المبحث الرابع :

الصحابة الذين تخلفوا عن غزوة تبوك المؤثرات الخارجية على الأفراد في اقرار المعصية :

ضرب القرآن الكريم في سورة التوبة ، مثلا رائعا للمؤثرات الخارجية من ظرف اجتماعي أو سلوكي أو بيئي قد يكون له الأثر الواضح في ضعف الهمة وتثبيط الدوافع التي تنهض

بالفرد في مواجهة التحديات مهما كانت غلبتها وسطوتها على الإنسان ، فتجعله يركن إلى الدعة ومتابعة حظوظ النفس وتلبية أهوائها .

ومثال ذلك قصة الصحابة الأتقياء الذين تخلفوا عن نفرة الجهاد مع الحبيب المصطفى (ص) فقد قعدت بهم بعض الشهوات البسيطة عن أسباب الطاعة ، والقيام بها .

قصة الثلاثة الذين تخلفوا عن الصحابة :

فقد جاء في قصة الثلاثة الذين تخلفوا عن اللحاق برسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك ، ما يبين هذه العلائق وأثرها في التثبيط والقفود عن أداء الواجب تجاه نداء الله ورسوله ، من استنفار للجهاد ومحاربة للمشركين في شدة حر ، وقلة ظهر ، وشيوع تخلف بين فئات من المجتمع المسلم ، مما قعد ببعض من كان يظن مسارعتهم إلى امتثال الأمر وتلبية الدعوة فعاقبهم القرآن بالقطيعة من لدن المجتمع لهم ، وإعراضا من رسول الله (ص) حتى ينزل في شأنهم عفوا وتوبة وتوبة من الله .

كما أشار إليه الحق في قوله : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ أَنْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَتَأْثَلِثْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرْضَيْتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ) التوبة : ٣٨ .

وهنا سارع المؤمنون إلى مرافقة الرسول صلى الله عليه وسلم ولم ينظروا ما سيلاقونه من مشقة ، ولم تفتنهم طيبات الحياة الدنيا (٤٨) ، فها هو علي بن أبي طالب رضي الله عنه لا يرضى أن يخلفه رسول الله (ص) في أهله فيلحق بالرسول وهو نازل بالجرف ويقول : يا رسول الله تخلفني في النساء والصبيان ؟ فقال له الرسول صلى الله عليه

حَرَّالُو كَانُوا يَفْقَهُونَ التَّوْبَةُ : ٨١ .

تثبيطا لهم عن الجهاد ، ونهيا عن المعروف وإظهارا لبعض العلل الداعية لهم إلى ما فرجوا به من القعود (٥٤) .

كما وتخلف من خلص الصحابة ثلاثة : (كعب بن مالك ، وهلال بن أمية ، ومراة بن الربيع) (٥٥) بغير عذر ، ولم يعرف عنهم رضي الله عنهم قط غمزة في دينهم ، وإخلاصهم وحبهم لله ولرسوله إلا انه بما أدركهم من الضعف البشري : حُب إليهم الظل والراحة ، عندما تشتت الثمار وتستطاب الظلال مؤثرين لذلك على الحر الشديد والسفر الطويل والكد والنصب (٥٦) .

ولكن ما وقع في نفس كعب بن مالك من الميل إلى الراحة والدعة وترك الجهاد ما ينبئ عن ترده ووقوعه في الحيرة ابتداء بين تلك العلائق والأجواء ، وهو ما يشي بوقوع الندم منه عقب أن استقر الأمر ومضى جيش المسلمين للغزو وهذا ما جاء في حديث كعب عن نفسه بقوله : كان من خبري إني لم أكن أقوى ولا أيسر حين تخلفت عنه في تلك الغزاة . والله ما اجتمعت عندي قبله راحلتان قط حتى جمعتهما في تلك الغزوة ولم يكن رسول الله (ص) إلا وري بغيرها ، حتى كانت تلك الغزوة التي غزاها رسول الله ﷺ في حر شديد ، واستقبل سفرا بعيدا ومقازا ، وعدو كثير ، فجلى للمسلمين أمرهم ليتأهبوا أهبة غزوهم ، فأخبرهم بوجهه الذي يريد ، والمسلمون مع رسول الله (ص) كثير ولا يجمعهم كتاب حافظ . يريد الديوان . قال كعب : فما رجل يريد أن يتغيب إلا ظن أن سيخفى له ما لم ينزل فيه وحي من الله ، وغزا رسول الله ﷺ تلك الغزوة حين طابت الثمار والظلال ، وتجهز رسول الله (ص) والمسلمون معه ،

وسلم : (أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى غير انه لا نبي بعدي) (٤٩) .

وهاهو أبو خيثمة الأنصاري ، وقد ترد وصعبت عليه الرحلة بادئ ذي بدء يسارع إلى حسم الصراع الدائر في نفسه بين البقاء والخروج ثم يؤثر الخروج رغبة فيما عند الله (٥٠) وفي ذلك يقول : (تخلفت عن رسول الله (ص) ، فدخلت حائطا لي . بستانا . فرأيت عريشا قد رش بالماء ، ورأيت زوجتي فقلت : ما هذا بإنصاف ، رسول الله (ص) في السموم والحرور ، وأنا في الظل والنعيم ، ففقت إلى ناضح لي فيه تمرات فخرجت ، فلما طلعت على العسكر فرأني الناس ، قال النبي (ص) : (كن أبا خيثمة فجئت فدعالي) (٥١) وفي المقابل تخلف رهط من المنافقين ، وقد كانوا بضعة وثمانين رجلا (٥٢) سيما وهم الرؤساء والأغنياء فقد تعذروا بأعذار كاذبة واهية ، ومن ذلك ما تعذر به الجد بن قيس المنافق عندما عرض عليه الرسول صلى الله عليه وسلم الجهاد قائلا : (يا أبا وهب هل لك في جلد بني الأصفر تتخذ منهم سراري وصفاء ؟ فقال يا رسول الله لقد عرف قومي إني رجل مغرم بالنساء ، وإني أخشى إن رأيت بنات بني الأصفر أن لا اصبر عنهم فلا تفتني بهم ، واثن لي في القعود عنك وأعينك بمالي فأعرض عنه النبي ﷺ وقال : أننت لك) (٥٣) .

ولم يقف الأمر عند ذلك بل حاول المنافقون تثبيط عزائم المسلمين بحجة الحر والشدة كما صرح به القرآن الكريم في قولهم : (فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَافَ رَسُولِ اللَّهِ وَكَرِهُوا أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ

، فطفت أعدو لكي أتجهز معهم ، فأرجع ولم اقض شيئاً فأقول في نفسي : إنا قادر عليه . فلم يزل يتمادى حتى اشتد بالناس الجد فأصبح رسول الله (ص) والمسلمون معه ، ولم اقضي من جهازي شيئاً فقلت أتجهزه بعده بيوم أو يومين ، ثم ألحقهم ، فغدوت بعد أن فصلوا لأتجهز ، فرجعت ولم اقض شيئاً ثم غدوت ثم رجعت ولم اقض شيئاً فلم يزل بي حتى أسرعوا وتفارط الغزو .

وهممت أن ارتحل فأدرتهم وليتني فعلت ، فلم يقدر لي ذلك فكنت إذا خرجت في الناس . بعد خروج رسول الله (ص) . فطفت فيهم أخذتني إن لا أرى إلا رجلاً مغموصاً عليه النفاق أو رجلاً ممن عذر الله من الضعفاء (٥٧) .

وهكذا أدرك مرارة بن الربيع رضي الله عنه انه فتن في إيمانه بإعجابه بحائطه . بستانه . الذي زهت ثماره وأينعت ، وقد غفل عما قد يعترى حائطه من الجوائح المبيدة ومما قد يلزم به من الغصص ، فيحرمه المتعة بما أعجب به وقد حرم مرافقة رسول الله (ص) وفي مسيرة للجهاد في سبيل الله وما في ذلك من خير لا يبديد ولا ينقطع .

وكذلك تطفن هلال بن أمية انه قد هفا برغبته وإقامته عند أهله عام الغزوة (٥٨) . بيد أن هذا التخلف وقد وقع من هؤلاء الأبطال بحكمة الله وتقديره ليحمل بين ثناياه من العبر والعظات الجملة ما فيه تربية للسلوك الإيماني أسوة للأجيال المقبلة التي يواجه فيها أبناء المجتمع المسلم أفراداً وجماعات محنهم في جميع الأحوال ما يوافقون به طاعة ربهم على حذر شديد من نزعات الشيطان الصارفة عن الصراط المستقيم .

وحيث لا يقر المجتمع المسلم المخالفين ؛ يقف منهم موقف المعالج للمريض الذي أريد له

الخير والتخلص من الداء ، ومن أجل ذلك بادر المجتمع المسلم آنذاك باعتزال هؤلاء الثلاثة انصياعاً لأمر رسول الله (ص) وتقويماً لما بدر منهم بغير عذر حتى ينزل في شأنهم قرآن يتلى .

وهذا ما وصفه كعب بن مالك رضي الله عنه فيما يرويه عن نفسه وعن صاحبيه ، حيث قال : (ونهى رسول الله (ص) المسلمين عن كلامنا نحن الثلاثة من بين من تخلف عنه فاجتنبنا الناس وتغيروا لنا حتى تنكرت في نفسي الأرض فما هي التي أعرف ، فبتنا على ذلك خمسين ليلة ، فأما صاحباي فاستكانا وقعدا في بيتهما يبكيان وأما أنا فكنت أشب القوم وأجلدهم ، فكنت أخرج فأشهد الصلاة مع المسلمين وأطوف في الأسواق ولا يكلمني احد ، وأتي رسول الله (ص) فأسلم عليه وهو في مجلسه بعد الصلاة فأقول في نفسي هل حرك شفتيه برد السلام علي أم لا ؟ ثم أصلي قريباً منه فأسارقه النظر ؛ فإذا أقبلت على صلاتي أقبل إلي وإذا التفت نحوه أعرض عني ، حتى إذا طال علي ذلك من جفوة الناس ، مشيت حتى تسورت جدار حائط أبي قتادة وهو ابن عمي وأحب الناس إلي ، فسلمت عليه فو الله ما رد علي السلام .

فقلت : يا أبا قتادة أنشدك بالله هل تعلمني أحب الله ورسوله ؟ فسكت فعدت له فنشدته فسكت ، فعدت له فنشدته فقال : الله ورسوله اعلم . ففاضت عيناى . وتوليت حتى تسورت الجدار . قال : بينما أنا أمشي بسوق المدينة إذا نبطي من أنباط أهل الشام ممن قدم بالطعام يبيعه بالمدينة ، يقول : من يدل على كعب بن مالك ؟ فطفق الناس يشيرون له ؛ حتى إذا جاءني دفع إلي كتاباً من ملك غسان ، فإذا فيه :

صارخ أوفى على جبل سلع بأعلى صوته :
يا كعب بن مالك أبشر . قال : فخررت ساجدا
وعرفت أن قد جاء فرج .

وأذن رسول الله (ص) بتوبة الله سبحانه
و تعالى علينا حين صلى صلاة الفجر ،
فذهب الناس يبشروننا ، وذهب قبل صاحبي
مبشرون ، وركض إلي رجل على فرس ،
وسعى ساع من أسلم ؛ فأوفى على الجبل
وكان الصوت أسرع من الفرس ، فلما جاءني
الذي سمعت صوته يبشرنى نزعته له ثوبي
فكسوته لهما ببشراه .

والله ما أملك غيرهما يومئذ واستعرت ثوبين
فلبستهما وانطلقت إلى رسول الله (ص)
فيتلقاني الناس ، فقام إلي طلحة بن عبيد
الله يهرول حتى صافحني وهناني والله ما
قام إلي رجل من المهاجرين غيره ، ولا أنساها
لطلحة .

قال كعب : فلما سلمت على رسول الله (ص)
، قال رسول الله (ص) وهو يبرق وجهه
من السرور : أبشر بخير يوم مر عليك منذ
ولدتك أمك ، قال قلت : أمن عندك يا رسول
الله (ص) أم من عند الله تعالى ؟ قال لا بل من
عند الله (٦٢) .

فأنزل الله تعالى على رسوله صلى الله عليه
وسلم : (لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ
وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ
مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبَ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ
عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَوْفٌ رَّحِيمٌ وَعَلَى الثَّلَاثَةِ
الَّذِينَ خَلَفُوا حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ
بِمَا رَجَبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَنْ
لَّا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا
إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا
اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ) التوبة:
١١٧ - ١١٩ .

أما بعد : فإنه قد بلغني أن صاحبك قد جفاك
ولم يجعلك الله بدار هوان ولا مضيعة ،
فالحق بنا نواسك . فقلت لما قرأتها : وهذه
أيضا من البلاء فتيمنت بها التنور فسجرتة
بها . حتى إذا مضت أربعون ليلة من الخمسين
، إذا رسول رسول الله (ص) يأتيني فقال :
إن رسول الله (ص) يأمرك أن تعتزل امرأتك
، فقلت : أطلقها أم ماذا أفعل ؟ قال : لا بل
اعتزلها ولا تقربها . وأرسل إلى صاحبي مثل
ذلك ، فقلت لامراتي ألحقي بأهلك فتكوني
عندهم حتى يقضي الله في هذا الأمر .

قال كعب : فجاءت امرأة هلال بن أمية رسول
الله ﷺ فقالت : يا رسول الله (ص) إن هلال
بن أمية شيخ ضائع ليس له خادم فهل تكره
أن أخدمه ؟ قال : لا ولكن لا يقربك ، قالت :
إنه والله ما به حركة إلى شيء ، والله ما زال
يبكي منذ كان من أمره ما كان إلى يومه هذا
، فقال لي بعض أهلي : لو استأذنت رسول
الله (ص) في امرأتك كما أذن لامرأة هلال بن
أمية أن تخدمه .

فقلت : والله لا استأذن فيها رسول الله (ص)
، وما يدريني ما يقول رسول الله (ص) إذا
استأذنته فيها ، وأنا رجل شاب ، فلبثت بعد
ذلك عشر ليال حتى كملت لنا خمسين ليلة من
حين نهى رسول الله (ص) عن كلامنا .

فلما صليت صلاة الفجر صبح خمسين ليلة
وأنا على ظهر بيت من بيوتنا ، فبينما أنا
جالس على الحال التي ذكر الله تعالى ؛ قد
ضاققت علي نفسي غما وهما (٥٩) حتى لا
متسع فيها لشيء من البسط والسرور (٦٠)
(وضاققت علي الأرض على رحبها وسعتها
بالخلق جميعا خوفا من العاقبة وجرعا من
إعراض النبي (ص) و المؤمنين وهجرهم
في المجالسة و المحادثة) (٦١) سمعت صوت

عن عقوبته يوم القيامة ، وترك فضيحته على رؤوس الأشهاد رحيم به ، وكذلك بعباده التائبين إليه من ذنوبهم (٦٣) .

ولما كانت الآية مسوقة في معرض توبة السارق ، وما تعلق بها من حقوق لله وللعباد بينه العلماء ، أما فيما يتعلق بحق العباد كما وضحه العلماء ، فقد جاء عن مجاهد أنه قال : (توبة العبد في هذا الوضع . يريد السرقة . إقامة الحد عليه) (٦٤) ، وفيما يتعلق بحق الله تعالى : مما هو في محل العفو والستر وترك الفضيحة يوم القيامة ، كما يدل عليه قوله تعالى : (فَمَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ) المائدة: ٣٩ .

وقد بينت السنة النبوية المطهرة الحقوق المتعلقة بالتوبة بنوع من التفصيل فيما رواه البيهقي في كتابه شعب الإيمان ؛ عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال : الدواوين ثلاثة عند الله عز وجل يوم القيامة ، فديوان لا يغفره الله تعالى وديوان لا يعبأ الله به شيئاً ، وديوان لا يدع الله منه شيئاً ، فأما الديوان الذي لا يغفر الله منه شيئاً ؛ فالإشراك بالله ، فإن الله عز وجل قال : (لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ) المائدة: ٧٢ . وأما الديوان الذي لا يعبأ الله تعالى به : فظلم العباد بينهم وبين الله عز وجل ، فكل عمل هو خالص لله تعالى ليس للعباد منه نصيب فإن الله قادر على أن يغفره ، وأما الديوان الذي لا يدع الله منه شيئاً : فظلم العباد بعضهم بعضاً وهو قصاص بينكم يوم القيامة (٦٥) .

وهكذا نجح أولئك الأطهار في التخلص من علائق الدنيا العارضة وتابوا وأتابوا وندموا على ما فرط منهم ، فقد تنبه كل منهم إلى ما وقع منه وفرط فيه حيث تيقظ أيمانهم ، وتمثل لهم ذنبهم فاستعظموه وأسرعوا إلى الإنابة تائبين كما رباهم الرسول صلى الله عليه وسلم على كيفية التوقي من الذنوب والاعتصام من الشدائد والفتن .

وبهذا يتبين لنا بجلاء أثر البيئة وأهميتها في حياة الإنسان ، فلهذا حرياً بهذا الإنسان أن يتعهد بيئته بالنظافة والصيانة ويحرص على طهارتها ، حتى يتهيأ له فيها الخير صيانة لنفسه ، وأن لا يركن لإغوائها وإغرائها ، فنعيمها زائل ، ومواسمها دائرة ، وحياة الترف فيها محدودة ، في مقابل نعيم دائم لا يزول ، وجنات عرضها السموات والأرض أعدت لأهل التقوى من المؤمنين .

المبحث الخامس :

الحقوق المتعلقة بالتوبة

لا يمكن أن نفصل التوبة عن الحقوق التي تتعلق بمن أقدم على معصية الله سبحانه وتعالى ، ثم رجع إليه تائباً ، فهو إما ظلم العبد نفسه ، أو غيره أو فرط في جنب الله تعالى . ولكي يخرج التائب من تبعه ذنبه ، فإن الحقوق التي عليه لا بد أن يؤديها إلى أصحابها ، قال تعالى : (فَمَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ) المائدة: ٣٩ .

فمن رجع عما يغضب الله تعالى من معصيته ، إلى ما يرضاه من طاعته ، من بعد ظلمه باعتدائه لما نهاه الله تعالى عنه ، وأصلح نفسه بحملها على مكروها في طاعة الله تعالى ، والتوبة إليه مما كان عليه من معصيته فإن الله عز وجل سائر على من تاب وأناب بالعفو

فقال : (ندم بالقلب واستغفار باللسان ، وترك بالجوارح وإضمار ألا يعود) (٦٧)، وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال عن التوبة النصوح : (أن يتوب من الذنب ثم لا يعود فيه ، أو لا يريد أن يعود فيه) (٦٨) .

وبهذا تكون التوبة النصوح ؛ بأن يقلع المذنب عن الذنب في الحاضر ، ويندم على ما سلف منه في الماضي ، ويعزم على ألا يفعل في المستقبل ، ثم إن كان الحق لأدبي رده إليه بطريقه (٦٩) .

وقد وصف القرآن الكريم التوبة على أنها نصوحا ، وهو وصف لتوبة التائبين حيث أنهم ينصحون لأنفسهم : بالإتيان بها على طريقتهما المعتبرة شرعا : نادمين عليها مغتمين أشد الاغتمام لارتكابها عازمين على أنهم لا يعودون في فعل قبيح من القبائح مواطنين أنفسهم على ذلك ، بحيث لا يلويهم عنه جارف (٧٠) .

فعندما يتم للتوبة عناصر التوبة النصوح ، فتصبح عندئذ جديرة بالقبول لأن التوبة النصوح كما قال سعيد بن جبير: (التوبة النصوح هي التوبة المقبولة) (٧١) ، وهي عندئذ توبة تصلح القلب وتخلصه من روااسب المعاصي وتحضه على العمل الصالح ، بعدها تظل تذكره بالله تعالى ومراقبته الدائمة في السر والعلن لئلا يعود إلى ممارسة الذنوب ومواقعتها مرة أخرى (٧٢) .

شروط التوبة النصوح :

للتوبة النصوح ثلاث شروط :

أولها : الندم .

ثانيها : الإقلاع .

ثالثها : الاعتذار .

فالأول :

فالظلم عمل مفسد لا يكفي فيه أن يكف الظالم عن ظلمه ، لأن الفساد والإتلاف يبقى ويحتاج إلى إصلاح وعمل ، ولهذا لا بد لمن يفسد أن يعوض إفساده بعمل إيجابي خير ليتم به الإصلاح ويعوض به ما تم من إتلاف . إلا أن الأمر في المنهج الرباني أعمق من هذا ، فالنفس الإنسانية لا بد أن تتحرك ، فإذا هي كفت عن الشر والفساد ولم تتحرك للخير وبقي فيها الصلاح في فراغ وخواء فقد يرتدان بها إلى الشر والفساد ، أما حين تتحرك على الخير والصلاح فإنها تأمن بذلك من الارتداد إلى الشر والفساد ، ولهذا يجيء القرآن الكريم بذكر المبدأ كاملا عند الحديث عن التوبة والاستغفار بالشروط المعتبرة في ذلك ليقرر به شريعة الجزاء في الدنيا والآخرة ، فالله سبحانه وتعالى خالق هذا الكون ومالكه المهيمن عليه الذي يقر مصائر من فيه ، كما شرع الله سبحانه وتعالى للناس في حياتهم ليجزيهم بمقتضى أعمالهم في دنياهم وآخرهم (٦٦) .

المبحث الخامس :

التوبة النصوح وشروطها

لقد حث القرآن الكريم على التوبة النصوح ومباشرتها عند اكتساب أي ذنب من الذنوب ، كما تبادر لنا ذلك معرض تلويحه جل وعلا بالمبادرة إليها كما في قوله تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تَوْبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنْكُم سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُم جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ)

التحريم : ٨ .

وقد سئل الحسن البصري عن التوبة النصوح

، وهذا فعل أعداء الله تعالى ، فإن الاحتجاج
للقدر مناف للتوبة ، وليس هو من الاعتذار
إليه في شيء ، إذ الاعتذار اعتذاران :
اعتذار يقرر الاعتراف ؛ فذلك من تمام التوبة
، واعتذار ينافي الاعتراف ؛ فذلك مناف للتوبة
(٧٨) .

وقد تشتمل التوبة سوى هذه الشروط الثلاثة
في الجملة من وجهة اقتراء الذنوب ذاتها :
فمن حيث تعلق الذنب بحق من حقوق العباد
، المح النوي بقوله : (فان كانت المعصية
لحق آدمي فلها ركن رابع وهو التحلل من
صاحب ذلك الحق) (٧٩) لقول النبي (ص)
: (من كان لأخيه عنده مظلمة من عرض أو
مال فليتحلله اليوم قبل أن يؤخذ منه يوم لا
دينار ولا درهم ، فإن كان له عمل صالح أخذ
منه بقدر مظلمته وإن لم يكن له عمل أخذ من
سيئات صاحبة فجعلت عليه) (٨٠) .

وأما إن تعلقت التوبة بالمنافقين والكفرة ،
فتستجمع إلي شروط التوبة ثلاثة شروط
علي ما جاء في قول تعالى : (إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي
الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا
○ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ
وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُولَئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ
وَسَوْفَ يُؤْتِي اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا)
النساء : ١٤٥ - ١٤٦ .

إذن فالتوبة ثلاثة شروط :
الأول :

اجتهادهم في صالح الأعمال التي تغسل
أدران النفاق . بأن يلتزموا الصدق في القول
والفعل مع الأمانة والوفاء بالوعد ، وإقامة
الصلاة والمراقبة لله في العلن والسر (٨١) .
قال الطبري :

(تابوا وأصلحوا أي أعمالهم ، فعملوا بما

الندم على ما سلف منه في الماضي ، فإن
التوبة لا تتحقق إلا بذلك فمن لم يندم على
القبيح فذلك دليل على رضاه به وإصراره
عليه (٧٣) ، ولهذا كان الندم أول منازل التوبة
، ومنه ما جاء عن ابن مسعود رضي الله عنه
، أن رسول الله ﷺ قال : (الندم توبة) (٧٤)
، وإنما يقبل الندم بشرط الاستمرار والعزم
على ألا يفعل في المستقبل (٧٥) .

والثاني :

الإقلاع عن الذنب في الحال ، فتستحيل التوبة
مع مباشرة الذنب .
والثالث :

الاعتذار والاعتراف بالذنب إليه سبحانه
وتعالى ، وذلك بإظهار الضعف و المسكنة
، وغلبة الهوى وقوة سلطان النفس ، وإن
الذنب لم يكن منه ما كان عن استهانة بحق
الله جل وعلا ولا جهلا به ولا إنكارا لإطلاعه
، ولا استهانة بوعيده ، وإنما كان من غلبة
الهوى ، وضعف القوة عن مقاومة الشهوة
، وطمعا في مغفرة الله تعالى وسعة حلمه
ورحمته ، وحسن الظن به ، ورجاء كرمه ،
واغترارا بالغرور ، والنفس الأمارة بالسوء
ونحو هذا الاعتراف المتضمن للاستعفاف
والتذلل والافتقار بالعجز والإقرار بالعبودية
(٧٦) .

فالله سبحانه وتعالى يحب الاعتذار إليه
من عبده ، وقد تنصل إليه من ذنبه ، فذلكم
الاعتذار المحمود النافع ، وقد كان النبي
(ص) يكثر من الاستغفار إليه من غير ذنب
، ويقول : (توبوا إلى الله تعالى فإنني أتوب
إليه في اليوم مائة مرة) (٧٧) .

الاعتذار بالقدر في ارتكاب الذنوب :

وان الاعتذار بالقدر ؛ مخاضمة لله واحتجاج
من العبد على ربه ، وحمل لذنبيه على الأقدار

بعد الإسلام يهدم جميع الأعمال .

الثاني : إن العمل يحبط بالمعصية كما قال تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ) الْحَجَرَات : ٢ .

وكقول النبي (ص) : (من ترك صلاة العصر فقد حبط عمله) (٩٠) .

الثالث : أن التوبة مشروطة باستمرارها والموافاة عليها ، والمعلق على الشرط يعدم عند عدم الشرط .

الرابع : جواز إحباط سيئة المعاودة ، حسنة التوبة فتصير التوبة كأن لم تكن (٩١) .

واحتجت طائفة أخرى :

ذلك أنه لا يعود إليه إثم الذنب الأول الذي تاب منه بنقص التوبة من وجوه :

الأول : إن ذلك الإثم الذي قد ارتفع بالتوبة ؛ صار بمنزلة ما لم يعمله فكانه لم يكن .

الثاني : إن الله تعالى قد علق قبول التوبة ؛ بالاستغفار وعدم الإصرار دون المعاودة ، فقال جل من قائل : (وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرِ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ) آل عمران : ١٣٥ .

الثالث : إن الشخص الواحد على أصول أهل السنة ، يجوز أن تجتمع فيه ولاية الله تعالى وعداوته من وجهين مختلفين ، فيكون محبوبا لله من وجه مبعوضا له من وجه آخر ، كما أثبت سبحانه وتعالى ؛ الإيمان مع مقارنة الشرك الأصغر لمن وقع منه ذلك ... في قوله تعالى : (وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ) يوسف : ١٠٦ .

وهذا الوصف لم يخرجهم عن دائرة الإيمان بالله ورسوله واليوم الآخر فهم مستحقون

أمرهم الله به ، وأدوا فرائضه ، وانتهوا عما نهاهم عنه ، وانزجروا عن معاصيه (٨٢) ومنه ما قاله أبو السعود في قوله تعالى : وأصلحوا أي : (ما أفسدوا من أحوالهم في حال النفاق) (٨٣) .

الثاني :

اعتصامهم بالله والتخلف بأدب كتابه ولزوم أحكامه وشرائعه (٨٤) والتمسك بعهدہ وميثاقه الذي عهد في كتابه إلي خلقه من طاعته وترك معصيته (٨٥) والوثوق به سبحانه (٨٦) .

الثالث :

إخلاص الدين لله : بالقلب لان النفاق كفر القلب فزواله يكون بإخلاص القلب (٨٧) وجعله خالصا لله لا يبغيون بطاعتهم إلا وجهه (٨٨) .

وإذا ما كانت المعصية متفاوتة ، فحري بصاحبها أن يفتش عن الأوجه التي تتعلق بها من حيث التوبة ليدرك بها التمام ، ويكتب له بها الأجر والغفران .

معاودة القائب إلى الذنب :

إن العبد إذا تاب من الذنب ثم عاوده فهل يعود إليه إثم الذنب الذي قد تاب منه ثم عاوده ، بحيث يستحق العقوبة علي الأول والآخر إن مات مصرا ؟ أو أن ذلك قد بطل بالكلية .

فلا يعود إليه إثمہ ، وإنما يعاقب علي هذا الأخير ؟ (٨٩)

للعلماء في هذا الأصل قولان :

فذهب طائفة :

إلي انه يعود إليه إثم الذنب الأول ؛ لفساد توبته وبطلانها بالمعاودة من وجوه :

الأول : إن التوبة من الذنوب بمنزلة الإسلام من الكفر ، والكافر إذا أسلم هدم إسلامه ما قلبه ، من إثم الكفر وتوابعه ، وكذلك الكفر

العمل لا يحبط إلا بالكفر ، فيكون (المراد) ترك صلاة العصر عمدا من جملة تلك المعاصي (٩٦) .

الوجه الثالث :

إن التوبة ليست مشروطة بالاستمرار بل الاستمرار شرط في صحة كما لها ونفعها لا في ما مضى منها (٩٧) .

الوجه الرابع :

لا يتحقق جواز إحباط سيئة المعاودة حسنة التوبة إذا التوبة المتقدمة حسنة ومعاودة الذنب سيئة فلا تبطلها باعتبار أن السيئة لا تبطل ما قارنها من الحسنات فكيف بما تقدم من الحسنات (٩٨) .

وهذا هو الرأي الراجح والله وأعلم :

لجواز صحة التوبة من بعض الذنوب دون بعض فتصح توبة الكافر من كفره مع بقاءه علي بعض المعاصي التي لم يتب منها ، كما لو بقي بعد إسلامه علي الزنا مع اعتماده بتحريمه ، فان عقوبة التعذيب بالنار أهون من الخلود فيها .

كذلك يحبط اجر الجمعة ، مع اعتبار أداء فرضها لمن تكلم فيها ، فضلا عن اعتبار ما قبلها من الصلوات والأعمال . لقول النبي (ص) : (من مس الحصى فقد لغى ومن لغى فلا جمعة له) (٩٩) .

ولهذا فإن التوبة مع بقاءها والثبات عليها ، من مقارف الذنوب ومركب الشهوات ، هو شأن المؤمن ، فإن الإنسان جبل على الشهوات وفطر على إشباع رغبته منها بالقدر الذي يحقق له استمرارية حياته على الدنيا وإعمارها ، وهذا شأن المؤمن أيضا الذي شرع الله تعالى له التوبة وعدد الكفارات وأوجه النسك المختلفة .

للوعيد باعتبار وقوع الكبيرة منهم ، وبهذا الأصل اثبت أهل السنة دخول أهل الكبائر النار ثم خروجهم ودخولهم الجنة . (٩٢) وقد أجابت هذه الطائفة عما احتجت به الطائفة الأولى من وجوه :

الوجه الأول :

إن قياس التوبة من الذنوب بمنزلة الإسلام من الكفر قياس فاسد إذا ليس المراد هنا الكفر الذي هو محبط لجميع الأعمال ، بل الكفر له شأن آخر (٩٣) .

الوجه الثاني :

إن العمل لا يحبط كله بالمعصية بل كل معصية تحبط بقدرها إذا المراد بإحباط العمل في قوله تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ) الحجرات : ٢ .

باعتبار الكفر والردة ، لأن النهي عن الفعل معلل باعتبار التأنيب لأن في الجهر والرفع : استخفافا قد يؤدي إلي الكفر المحبط وذلك إذا انضم إليه قصد الإهانة وعدم المبالاة .

فمن هذا الوجه :

كان رفع الصوت استخفافا : ردة وكفرا ، أما إن كان رفع الصوت دون قصد الاستخفاف أو الإهانة أو السخرية فليس بمحبط للعمل لما روي في هذه الآية : أن ثابت بن قيس كان في إننه وقرا وكان جهوريا فلما نزلت الآية : تخلف عن رسول الله (ص) ، ففقدته ، ودعاه فذكر له ذلك فقال النبي (ص) (هو من أهل الجنة) (٩٤) .

وكذلك يراد من قوله النبي (ص) : (من ترك صلاة العصر فقد حبط عمله) (٩٥) .

علي قوله : (فقد حبط عمله) : أريد به تعظيم المعصية لا حقيقة اللفظ ، وهذا مبني علي أن

الخاتمة :

إن طبيعة بشرية الإنسان تقتضي المغالبة والمنازعة ، بين بشريته المركبة من أهواء النفس وإغرائها ونزوعه لرغائنها وشهواتها ، وتربص الشيطان به يسول له ويحسن فعل المنكرات ، وبين تركيته لنفسه وارتفاعه ببشريتها إلى مصاف الملائكة ، في سموه على الشهوات والأهواء ، وارتباطه بالغايات العليا والارتفاع عن الدنيا والصغائر ، ليرتفع بنفسه إلى قمم التقوى طلبا للنعيم المقيم .

ولهذا جعل الله سبحانه وتعالى ؛ الفروض والواجبات وما أمرنا بما نتعبده به من فعل الخيرات ، واجتناب النواهي ، تحصينا للنفس ووقاية لها من غوايتها وتربص الشيطان بها ، وما ملكتنا من سبل الحماية وكيفية تجنب مصارع الشيطان ومواضع مساقط النفس ، وما وضحه لنا وولنا عليه في القرآن الكريم والسنة المطهرة ؛ من أسباب التوبة والاستغفار ، كل هذا حماية لأنفسنا ووقاية ورحمة من الله تعالى لنا .

لأجل هذا شرع الله تعالى التوبة ، وجعلها واجبة على الفور طيلة العمر، وحث على فعلها واستحداثها عقب الذنب ، لأن ما أدى إلى الواجب فهو واجب ، وبهذا الوجوب على الفور يشهد القرآن الكريم في قوله تعالى جل من قائل : (إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا) النساء: ١٧ .

ومن أجل هذا على المسلم أن يكون في توبة دائمة ، واستغفار مستمر حماية لنفسه وتحصينا لها ، من أنواع الغوايات التي تربص به والدوائر التي تدور عليه مدفوعة

من الشيطان ونفسه التي بين جنبيه .

النتائج :

١/ إن اقتراف المعاصي والذنوب والسقوط في مستنقع الشهوات من طبيعة بشرية الإنسان المركبة فيه ، ولهذا إذا كبج الإنسان جماح شهواته ، وحسن نفسه من الذنوب ، يكون عندئذ في مصاف الملائكة ، وإذا سدر في غيه وتابع شهواته ، وارتكب الذنوب يصير أخط من الحيوان .

٢/ للشيطان دور خطير في حياة المسلم ، فهو يزين له الشهوات ، ويحسن له اقتراف الذنوب ، فعلى المسلم أن يكون منه في جذب عظيم ، كما يقول تعالى : (يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ) البقرة: ١٦٨ ، فعلى المسلم أن يتخذ عدوا ، مستحضرا تربصه به وعداوته له .

٣/ حكم التوبة الوجوب على الفور ، واستحداثها عند ارتكاب كل ذنب مباشرة ، ولا يجب التسوية فيها ، قال تعالى : (إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا) النساء: ١٧ ، فلا يضمن الإنسان موته أو مرضه .

٤/ للتوبة النصوح شروط يجب الالتزام بها ويكون بها كمالها ، و التوبة نافية للذنب الذي استحدثت من أجله .

٥/ رد الحقوق أو استحلالاتها لمن هي حق له ، أساس للتوبة فيمن له حق على غيره .

٦/ النزوع للدعة وأسباب الترف ، تغري بالتقاعس عن تلبية الفروض والاستجابة لدواعي الحق ، فعلى المسلم أن يكون على حذر من ذلك .

٧/ نقض التائب لتوبته بارتكاب ذنب آخر

، لا يستوجب رد الذنب الأول الذي تاب منه أولاً .

٨/ إن التوبة ليست مشروطة باستمرارها ، بل الاستمرار شرط من شروط صحتها وكمالها ونفعها ، لا فيما مضى منها .

٩/ إن الاعتذار بالقدر في ارتكاب المعاصي الذنوب ، مخاصمة لله تعالى ، واحتجاج من العبد على ربه ، وحمل لذنبيه على الأقدار .

١٠/ يحصل عون الله جل وعلا للعبد على قدر صحة نيته وتامها وإخلاصها .

١١/ من أصول العقيدة عند أهل السنة ؛ أن المسلم لا يكفر بارتكاب الكبائر ما لم يستحلها . وكل المسلمين وعد الله تعالى الجنة والمغفرة إذا ربثوا من الشرك الأكبر .

١٢/ يعمى القلب وتنطمس بصيرته ويفقد الرقابة والحسبة الذاتية ، إذا أشرب الذنوب ، فلا يعرف أن يحل حلالاً ولا أن يحرم حراماً .

١٣/ إن الإيمان يزيد وينقص ؛ يزيد بالطاعات وينقص بالمعاصي والذنوب ، ولا يعدم المسلم الإيمان بالكلية ومهما كان تكون فيه بقية من إيمان ، ولهذا لا يمكن تكفير المسلم بأي حال من الأحوال ، إلا بكفره كفراً صريحاً واضحاً .

١٤/ إن الله عز وجل قدر الذنوب على عباده ، لحكمة بالغة قد نعرفها وقد لا نعرفها ، ولسنا مطالبين بمعرفة حكمة ومبرر ما تعبدنا به ، وما أجراه علينا من أقدار وسنن .

١٥/ يقول تعالى : (قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ) الزمر: ٥٣ ، في الآية الكريمة إخبار بأن الله تعالى يغفر الذنوب جميعاً لمن تاب منها ورجع عنها مهما كانت وإن كانت

مثل زبد البحر ، والنهي عن القنوط يشمل جميع من أسرف على نفسه من أهل الشرك والإيمان لعموم الخطاب في قوله تعالى في الآية الكريمة .

التوصيات :

١/ تعهد النفس بالتذكية ، والمراقبة الدائمة ، وتحصينها من النزوع إلى الشهوات ، بأفعال ما يتحصن به المسلم من الأنكار الراتبة في اليوم والليلة ، بعد فعله للفرائض والواجبات المفروضة عليه ،

٢/ على الدولة أن تتحمل تبعات إقامة الحدود وتطبيق شرع الله تعالى على العصاة والمجرمين ، ودفع طاقات المجتمع نحو الخير والعمل الجماعي النافع ، واستيعاب الشباب في برامج نستثمر بها أوقات فراغهم وطاقاتهم ، وقطع حبال الجريمة وأسباب الفساد .

٣/ على الدعاة والمصلحين تبصير المجتمع بواجباته الدينية ، وفروضة التعبدية ، وإشاعة ثقافة التوبة بين المسلمين .

٤/ التحذير من فعل المنكرات والمعاصي و الذنوب ، والتوجيه باستحداث التوبة لأي ذنب مهما عظم ، فلا عظيم أمام التوبة ، ولا صغيرة أمام الإصرار .

٥/ المجتمع التائب المستغفر الطاهر هو المجتمع المناط به ؛ خلافة الله في الأرض ، فعلينا أن نسعى لإيجاد هذا المجتمع الراشد ، ببرامج تتكامل فيها كل دواعي إيجاد هذا المجتمع .

٦/ وجوب التوبة على الفور وعدم تأخيرها ، واستحداثها عند ارتكاب أي ذنب مهما صغر أو عظم هذا الذنب .

٧/ تعهد السجناء والموقوفين بالزيارة ، وإعانتهم على تركية أنفسهم وتحولهم إلى أعضاء فاعلين في المجتمع ، و إرشادهم إلى أسس التوبة وأساليبها .

(هوامش)

- (١٩) صحيح الإمام مسلم : كتاب التوبة ، باب سقوط الذنوب بالإستغفار والتوبة : (١٧ / ٨٠) رقم : ١١ .
- (٢٠) انظر : إحياء علوم الدين ، الإمام الغزالي ، ٤ / ٣٦٤ .
- (٢١) جامع البيان : ٦٨ / ٩ .
- (٢٢) المصدر أعلاه : ذات الصفحات .
- (٢٣) الجامع لأحكام القرآن : ١٠ / ٢٤٦ .
- (٢٤) فتح الباري : كتاب الإيمان ، باب ما جاء أن الأعمال بالنية ، ١ / ١٦٣ ، برقم ك ٤١ .
- (٢٥) انظر : إحياء علوم الدين ، ٤ / ٣٦٨ و ص ٣٦٩ .
- (٢٦) انظر : تفسير القرآن العظيم : ٤ / ٤٢٢ .
- (٢٧) صحيح مسلم : ١٧ / ٦٥ .
- (٢٨) مدارج السالكين : ١ / ٣٠٢ .
- (٢٩) تفسير القاسمي : ٥ / ١١٥٤ ، ١١٥٥ .
- (٣٠) إحياء علوم الدين : ٤ / ٥ .
- (٣١) المصدر السابق : ٤ / ١٢ .
- (٣٢) صحيح الترمذي : أبواب البر والصلة ، باب ما جاء في معاشرته الناس ، ٢ / ١٩١ ، برقم : ١٦١٨ .
- (٣٣) صحيح مسلم : كتاب الطهارة ، باب : خروج الخطايا مع الوضوء ، ٣ / ١٣٥ ، برقم : ٣٢ .
- (٣٤) مدارج السالكين : ١ / ٢٩٧ .
- (٣٥) انظر : إحياء علوم الدين : ٤ / ١٢ .
- (٣٦) انظر : مدارج السالكين : ١ / ٣٠٩ .
- (٣٧) تفسير الضحاوي : ١ / ٢٠٦ .
- (٣٨) انظر : مدارج السالكين : ١ / ٢٠١ .
- (٣٩) انظر : إحياء علوم الدين : ٤ / ٤٩ ، ٥١ .
- (٤٠) تفسير القرآن العظيم : ٦ / ١٠٠ . (بتصرف)
- (٤١) جامع البيان : ١٢ / ١٦ .
- (٤٢) انظر : تفسير المراغي : ٢٤ / ٢٣ و ٢٤ .
- (٤٣) جامع البيان : ٥ / ٧٨ .
- (٤٤) تفسير الكشاف : ١ / ٣٦٦ .
- (٤٥) انظر : تيسير الكريم الرحمن : ٢ / ٣٤٨ .
- (٤٦) السيرة النبوية في ظل المصادر الأصلية : مهدي رزق الله ، ص : ٣٢٠ ، ٣٢١ .
- (٤٧) فتح الباري : كتاب المغازي ، باب غزوة تبوك ،

- (١) رواه الترمذي : صفة القيامة ، رقم : ٢٤٩٩ ، (وقال هذا حديث غريب) ورواه ابن ماجه : في الزهد رقم : ٤٢٥١ . ورواه أيضا الإمام أحمد في المكثرين برقم : ١٢٥٧٦ . وكذلك ذكره الدرامي ، الرقاق : رقم : ٢٦١١ .
- (٢) صحيح مسلم : كتاب الإيمان : رقم ٣٤ ، ورواه الترمذي في كتاب الإيمان أيضا ، برقم ٢٦٢٣ . وفي مسند الإمام أحمد : حديث رقم : ١٦٨٢ .
- (٣) انظر : تفسير الإمام الطبري : ٢٢ / ٩٠ .
- (٤) ابن تيمية : مجموع الفتاوي : ١٤ / ٢٨٩ .
- (٥) الحديث متفق عليه : رواه البخاري في كتاب المظالم برقم ٢٤٧٥ واللفظ له . ورواه الإمام مسلم في صحيحه كتاب الإيمان : الحديث رقم : ٥٧ .
- (٦) ابن تيمية : مجموع الفتاوي : ١٤ / ٣٩٧ .
- (٧) صحيح البخاري : باب فضل من استبرأ لدينه ، ١ / ٩٠ ، الحديث رقم : ٥٠ .
- (٨) تفسير القرطبي : ٢ / ٩٢ .
- (٩) المصدر السابق : ٥ / ٩٢ .
- (١٠) سنن ابن ماجه : باب ذكر التوبة ، ١٢ / ٣٠٣ ، الحديث رقم : ٤٢٤٢ .
- (١١) لسان العرب : ابن منظور ، باب : (توب) ١ / ٢٣٣ .
- (١٢) التعريفات : الجرجاني ، ١ / ٢٢ .
- (١٣) انظر : المصدر السابق .
- (١٤) المخصص : ٣ / ١٦٩ .
- (١٥) مدارج السالكين : ١ / ١٩٩ .
- (١٦) تفسير المراغي : ٤ / ٢٠٩ .
- (١٧) سنن الإمام الترمذي : ٩ / ٣٨ ، رقم الحديث : ٢٤٢٢ ، قال أبو عيسى (الترمذي) هذا حديث حسن صحيح .
- (١٨) سنن ابن ماجه ، باب ذكر التوبة ، الجزء ١٢ / ٣٠١ ، رقم الحديث : ٤٢٤٠ .
- (١٩) انظر مدارج السالكين : (١ / ٢٠٥ ، ٢١٠)
- (١٨) انظر : شرح العقيدة الطحاوية : ص ، (٢٥٢) .
- (٢٦١)

التوبة !! مفهومها وكيفيةها

- وهي غزوة العسرة : ٧ / ٧١٦ ، رقم الحديث : ٤٤١٦
- (٤٨) السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية : ص ٦٢١ ،
- (٤٩) صحيح مسلم : كتاب التوبة ، باب توبة كعب بن مالك و صاحبيه : ١٧ / ٩٤ ، رقم الحديث : ٥٢ .
- (٥٠) فتح الباري : ٧ / ٧١٧ .
- (٥١) أسباب النزول : ص : ٢٤٨ .
- (٥٢) تفسير أبي السعود : ٤ / ٨٨ .
- (٥٣) انظر : سيرة ابن هشام : ٤ / ٥٢١ .
- (٥٤) انظر : الظلال : ٣ / ١٧٢٠ .
- (٥٥) انظر : فتح الباري : ٧ / ٧١٧ .
- (٥٦) انظر : محمد رسول الله : ٤ / ٤٤٧-٤٤٨ .
- (٥٧) تفسير البغوي : ٢ / ٢٧٧ .
- (٥٨) تفسير المراغي : ١١ / ٤٢ .
- (٥٩) المصدر السابق : ١١ / ٤١ .
- (٦٠) انظر : فتح الباري : ٧ / ٧١٨-٧١٩ .
- (٦١) انظر : جامع البيان : ٤ / ٢٣٠ .
- (٦٢) المصدر لسابق : ذات الصفحات .
- (٦٣) شعب الإيمان : باب في طاعة أولي الأمر ، فصل في نكر ما ورد من التشديد في الظلم ، ٦ / ٥٢ . رقم : ٧٤٧٤ .
- (٦٤) انظر : الظلال ، ٢ / ٨٨٦ .
- (٦٥) زاد المسير : ٨ / ٣١٤ .
- (٦٦) تفسير القرآن العظيم : ٧ / ٦٠ .
- (٦٧) تفسير أبي السعود : ٨ / ٢٦٨ .
- (٦٨) انظر : فتح القدير : ٥ / ٢٥٤ .
- (٦٩) انظر : في ظلال القرآن : ٦ / ١٨٣٦ .
- (٧٠) المصدر السابق : ذات الصفحات .
- (٧١) انظر : مدارج السالكين : ١ / ٢٠٢ .
- (٧٢) صحيح الجامع الصغير وزيادته : ١ / ٥٧٧ ، برقم : ٣٠٠٥ .
- (٧٣) أحكام القرآن الكريم : لابن العربي ، ٢ / ٥٩٠ .
- (٧٤) انظر : مدارج السالكين : ١ / ٢٠٣ .
- (٧٥) صحيح الجامع الصغير وزيادته : ١ / ٥٧٧ ، رقم الحديث : ٢٠٠٥ .
- (٧٦) انظر : مدارج السالكين : ١ / ٢٠٣-٢٠٤ .
- (٧٧) المصدر السابق .
- (٧٨) صحيح الجامع الصغير وزيادته : ٢ / ١١١٠ ، رقم الحديث : ٦٥١١ .
- (٧٩) انظر : تفسير المراغي : ٥ / ١٩٠ .
- (٨٠) جامع البيان : ٤ / ٣٣٩ .
- (٨١) تفسير أبي السعود : ٢ / ٢٤٧ .
- (٨٢) تفسير المراغي : ٥ / ١٩٠ .
- (٨٣) جامع البيان : ٤ / ٣٣٩ .
- (٨٤) تفسير البغوي : ١ / ٤٩٣ .
- (٨٥) المصدر السابق : ذات الصفحة .
- (٨٦) تفسير أبي السعود : ٢ / ٢٤٧ .
- (٨٧) مدارج السالكين : ١ / ١٢٠ .
- (٨٨) سنن النسائي : كتاب الصلاة ، باب المحافظة على صلاة العصر : ١ / ٢٣٦ ، رقم الحديث : ٤٧٤ .
- (٨٩) انظر : مدارج السالكين : ٢ / ٣٠٥-٣٠٦ .
- (٩٠) انظر : مدارج السالكين : ١ / ٢٠٨-٢٠٩ .
- (٩١) المصدر أعلاه : ذات الصفحات .
- (٩٢) أسباب النزول : ص : ٣٨٦ .
- (٩٣) سنن النسائي : كتاب الصلاة ، باب المحافظة على صلاة العصر : ١ / ٢٣٦ . الحديث رقم : ٤٧٤
- (٩٤) المصدر السابق : مدارج السالكين : ١ / ٢٣٦ .
- (٩٥) انظر : مدارج السالكين : ١ / ٢٠٧ .
- (٩٦) المصدر السابق .
- (٩٧) سنن أبو داود : كتاب أبواب الجمعة / باب فضل الجمعة : ١ / ١٩٦ . رقم الحديث : ٩٢٧ .